وظيفة الرّتبة غير المحفوظة في الجملة الاسمية المطلقة شعر الفرزدق أنموذجاً

وسيم محفوض نصر* د.حكمت بربهان**

ملخّص

تُعدُّ قرينة الرّتبة من أبرز الظَّواهر اللُّغويَّة في اللُّغة العربيَّة؛ إذ تدلُّ على فهمٍ عميقٍ للغة، وسعةِ تصرُّف، وامتلاك زمام المبادرة ، وحسن التّفكير من خلال النّظم الذي يكشف عن جماليَّة اللُّغة ، فضلاً عن كونها ظاهرةً تحمل في طيَّاتها معانيَ ودلالاتٍ يُفضي إليها سياق الكلام.

كان المبحث الأوّل في بيان وظيفة الرّتبة في الجملة الاسميَّة من خلال تقديم الخبر على المبتدأ ، وتقديم خبر الأحرف المشبَّهة على اسمها، ليكون المبحث الثاني في وظيفة الرّتبة في الجملة الفعليَّة ببيان التَّقديم والتَّأخير في أركانها، فبيّن هذا المبحث تقديم المفعول به على الفاعل ، ووصل البحث إلى عدد من النَّتائج والتَّوصيات أُثبتت في نهايته، ومن ثم ذُيّل بذكر المصادر والمراجع.

الكلمات المفتاحيّة: الرّتبة – التّقديم والتّأخير – غير المحفوظة– الفرزدق.

* – طالب دراسات عليا (ماجستير)، قسم اللغة العربية، جامعة تشرين، اللاذقية، سورية.

** – مدرّس في قسم اللغة العربية، نحو وصرف ، جامعة تشرين، اللاذقية، سورية.

The rank function that is not preserved in a sentence Al-Farazdaq's poetry is a model

Dr. Hikmat Berbhan[**] Waseem Mahfoud Nasr[*]

Abstract

The relative rank is one of the most prominent linguistic phenomena in the Arabic language. It indicates a deep understanding of language, capacity to act, ownership of initiative, and good thinking through systems that reveal the beauty of language, as well as being a phenomenon that carries with it meanings and connotations that the context of speech leads to.

The research plan came in an introduction, a preface and two research papers, the introduction was a statement of the importance of the topic and the reason for selection, the method, and the research plan, while the introduction was in the concept of rank between language dictionaries and conventions.

The first topic was in explaining the function of rank in the nominal sentence by presenting the news to the subject, and presenting the news of the suspicious letters to its name, so that the second topic in the function of rank in the actual sentence by showing the introduction and delay in its pillars, so this topic showed the presentation of the object on the subject, and the presentation of semi The sentence contains both the verb, the subject and the object, and then it was appended with mentioning the sources and references.

key words: Rank - Presentation and Delay - Not Saved - Al-Farazdaq.

* - Postgraduate Student (Master), Department of Arabic Language, Tishreen University, Lattakia, Syria.

** Lecturer, Department of Arabic Language, Grammar and Morphology, Tishreen University, Lattakia, Syria.

مقدّمة:

تعدُ اللغة العربيّة منظومة عُرفيّة رمزيّة يعبّر المرء من خلالها عن أغراض نفسه، ويقرأ فيها أمجاد السّابقين وأفكار اللاحقين؛ إذ تمنح الإنسان القدرة على التعبير عمّا في نفسه بلغة فصيحة، ويُعدّ باب التقديم والتأخير جزءاً من أجزاء علمي النحو والمعاني؛ إذ يرتبط ارتباطاً وثيقاً بالصياغة المؤدّية إلى معنى ما، فالاختلاف في تراتبية الجملة سواء أكان لازماً أم غير لازمٍ يؤدّي إلى معانٍ ودلالاتٍ يكشف عنها السّياق.

أهمية البحث وأهدافه:

تأتي أهميَّة البحث من كونه يُحاول الكشف عن علاقة الرّتبة بالتّوجيه الدّلالي الذي يكشفه المعنى المراد، وهذا العارض يطرأ لهذه الأمور – تقديمٍ أو تأخيرٍ– من أسباب عديدة، سواء أكانت نحوية أم بلاغية، هذه الأمور ما يقتضي تأخيرها، وتقديم ما هو مؤخَّر في الأصل.

ويُحاول البحث أن يرصد بعضَ مواطن التقديم التي وردت في شعر الفرزدق مع إيضاح المعنى الدلالي الذي يقتضيه التقديم .

الدّراسات السّابقة:

1- **بناء الجملة المركّبة في شعر الفرزدق:** إحسان عثمان محمّد الطّيب، رسالة أُعدّت لنيل درجة الدّكتوراه، بإشراف: أ.د بكري محمّد الحاج، إذ قام الباحث بدراسة أنواع الجمل المركّبة دراسة وصفيّة تحليليّة، وحلّل بعض مكوّنات الجملة المرتبطة بالبناء، وأشار إلى العلاقات التّحويليّة البنيويّة في الجملة بدءاً من الكلمة ثمّ العبارة ثمّ التّركيب.

2- **جماليّات التّركيب في شعر الفرزدق "دراسة في قيم المعنى البلاغيّ":** خالد عبد التّواب عبد القادر إبراهيم، رسالة مقدّمة لنيل درجة الماجستير، بإشراف: إ.د فاروق محمّد مهنى ود.هاني فراج علي، جاءت الرّسالة في أربعة فصول، تسبقها مقدّمة وتمهيد، وتتبعها خاتمة وقائمة بالمصادر، درس في الفصل الأوّل جماليّات الظّواهر التّركيبيّة في شعر الفرزدق، وكان في ثلاثة مباحث: التّقديم والتّأخير، والحذف والذّكر، والتّعريف والتّنكير. أمّا الفصل الثّاني فجاء معنوناً بجماليّات التّراكيب البيانيّة في شعر الفرزدق، ليأتي الفصل الثّالث موسوماً

بجماليّات الموسيقا في شعر الفرزدق، أمّا الفصل الأخير فكان معنوناً بجماليّات التّناص في شعر الفرزدق.

منهج البحث وخطّته:

حاول البحث اعتماد المنهج الوصفيّ من خلال رصد بعض ظواهر الرّتبة غير المحفوظة، ودراسة وظيفتها ودورها في المعنى.

مفهوم الرّتبة:

تخضع الجملة العربية لترتيب ينظم تَتَابُعَ أجزائها، فالكلام له رتبة: "فعل، فاعل، مفعول به" في الجملة الفعلية، أو "مبتدأ وخبر" في الجملة الاسمية، ثم بقية مكمّلات الجملة. وفي حال حدوث أيّ تغيير في هذا الترتيب يبحث النحويون في المسوّغات والمبرّرات للتقديم أو التأخير. أمّا البلاغيون فقد نظروا إلى هذا التقديم أو التأخير على أنّ له غرضاً بلاغياً تعبيرياً. ومن أهمّ أغراض التقديم بيان الأهمية، والتخصيص.

أ- لغة:

جاء معنى الرّتبة بمعنى الثّبات والمنزلة، ومن ذلك ما ورد في قول (ابن منظور):"**رَتَبَ الشّيءُ يَرْتُبُ رتُوباً ،وترَتَّبَ: ثبت فلم يتحرَّك، يقال: رَتَبَ رُتُوبَ الكَعْبِ؛ أَي انْتَصَبَ انْتِصابَه، ورَتَّبَه تَرتِيباً: أَثْبَتَه... والرَّتَبَةُ الواحدة من رَتَباتِ الدَّرَجِ، والرُّتْبَةُ والمَرْتَبَةُ: المَنْزِلةُ عند المُلوكِ ونحوها**"[1]، وهذا القول ورد في أغلب معاجم اللغة.

اصطلاحاً:

عرف النّحاة القدامى دور الرّتبة في الجملة، ولكنّهم لم يُعالجوها في مبحثٍ مستقلٍّ، إنّما نراها متوزّعة بين أبواب النّحو، ومن ذلك قول ابن جنّي: "**ولا يجوز تقديم الصلة، ولا شيء منها على الموصول، ولا الصّفة على الموصوف، ولا المُبدل على المبدل منه، ولا عطف البيان على المعطوف عليه، والعطف الذي هو نسق على المعطوف عليه... ولا**

(1) – ابن منظور، جمال بن مكرم : ***لسان العرب***، تحقيق: محمّد أحمد حسب الله، وهاشم الشّاذلي ، وعبد الله علي الكبير، دار المعارف، مصر، د.ت، مادّة (رتب).

يجوز تقديم المُضاف إليه على المُضاف، ولا شيء ممّا اتّصل به، ولا يجوز تقديم الجواب على المُجاب شرطاً كان أو غيرهما"[2]

أنواع الرّتبة:

أ- الرّتبة المحفوظة:

لا يجوز فيها التقديم والتأخير (لا يُسمح بتبادل المواقع)، بمعنى أنّ العلاقة بين الطرفين اللغويين لا تقبل التبادل؛ لأنّ الأول يفتقر إلى الثاني في موضعه، كالعلاقة بين الجارّ والمجرور، فلا يجوز تقديم الاسم المجرور أو تأخير حرف الجرّ، وكالعلاقة بين المضاف والمضاف إليه، كما لا يمكن أن تأتي جملة الصلة متقدّمة على الاسم الموصول، أو يأتي الاسم الموصول بعد جملة الصلة. نقول: "إلى الجامعة"، ولا يصحّ: الجامعة إلى. ونقول: "كتاب البلاغة" ولا نقول: البلاغة كتاب. ونحو: "ذو العقل"، و"أخو الجهالة"، ولا يمكن تبادل المواقع هنا، فلا يجوز: "العقل ذو"...

ب- الرتبة غير المحفوظة:

وهي التي يصحّ فيها التّقديم والتّأخير، يُسمح بتبادل المواقع؛ أي يُسمح بالتّبادل بين عناصر الجملة فيها (كأن يتقدّم الفاعل أو المفعول به على الفعل في حال كون الجملة فعليّة، أو أن يتقدّم الخبر على المبتدأ عندما تكون الجملة اسميّة).

وقد رضي علماء المعاني بهذا التقسيم وعمدوا إلى الرّتبة غير المحفوظة، فمنحوها دراسةً أسلوبيةً مهمّة؛ وقفوا على التحوّلات البلاغية في الاستعمال التعبيري الأدبي الذي يطرأ عليه انزياح أسلوبي يخرق معياريّة الرتبة، مثل قولهم "زيدٌ منطلقٌ"، و "منطلقٌ زيدٌ". و"ضرب زيدٌ عمراً"، و"ضربَ عمراً زيدٌ". وقد أشار (ابن مالك) إلى ذلك بقوله: [3]

والأصــــلُ فـــي الأخبـــارِ أنْ تُـــؤخَّرا وجـــــوَّزوا التقـــــديم إذ لا ضَـــــرَرَ

(2) – ابن جنّي، أبو الفتح عثمان: ***الخصائص***، 2/385-387.

(3) – ابن مالك، محمد ابن عبد الله بن مالك الطائي، **متن ألفية**، تحقيق: عبد اللطيف الخطيب، دار العروبة، الكويت، الطبعة الأولى، 2006م، ص 9.

كـــــذا إذا يســـــتوجِبُ التّصـــــديرا كـــــأينَ مـــــن علمتـــــه نصـــــيرا

المبحث الأوَّل: وظيفة الرّتبة في الجملة الاسميّة:

للرتبة دور في الكشف عن الأصل النحوي، ولكنَّ هذا الاصل الذي لم يكن ثابتاً بل أصابه انزياح لغوي أدّى معانيَ ودلالات يكشفها السّياق والمقام الذي وُضِع له، وهي معانٍ تنمّ عن إدراك ووعي بحال المُخاطب.

َقديم والتَّأخير في الجملة الاسميَّة المطلقة:

تخضع الجملة العربية لترتيب ينظم تَتَابُعَ أجزائها، فالكلام له رتبة: "فعل، فاعل، مفعول به" في الجملة الفعلية، أو "مبتدأ وخبر" في الجملة الاسمية، ثم بقية مكمّلات الجملة. وفي حال حدوث أيّ تغيير في هذا الترتيب يبحث النحويون في المسوّغات والمبرّرات للتقديم أو التأخير. أمّا البلاغيون فقد نظروا إلى هذا التقديم أو التأخير على أنّ له غرضاً بلاغياً تعبيرياً. ومن أهمّ أغراض التقديم بيان الأهمية، والتخصيص.

وعندما يتقدّم ركن من أركان الجملة، فلا بدّ من وجود متأخّر، فهو ليس معدوماً، ولو كان معدوماً لَحُذِفَ من الجملة؛ بل هو ذو أهمية، ولكن في الدرجة الثانية من الأهمية؛ أو ربما يكون التأخير لغرض التشويق، فالمتلقّي يتشوّق لمعرفة هذا المتأخّر الذي لم يُذكر في البداية.

وكلّ تقديم يلزمه تأخير بالضرورة؛ فالمبتدأ عندما يترك مكانه للخبر يتأخّر عنه، وعندما تحدث هذه الحركة في نظام اللغة نكون قد قمنا بإحداث خرقٍ أو انزياحٍ أو خروجٍ عن المألوف في النظام اللغوي، وهذا يؤدي بالضرورة إلى تغيير في المعاني والدلالات، وفي الأثر النفسي؛ لأنّ الكلمة المقدَّمة على غيرها تأخذ أهمية بالنسبة إلى القارئ، كما هي بالنسبة إلى المتلقّي، فتنشغل بها النفس أو تتأثر بها، وهذا التأثُّر إمّا أن يكون إعجاباً أو نفوراً، و تنشغل به النفس فنياً؛ لأنّ النفس تُفاجأ بتوضّع الكلمة في غير مكانها المعتاد في النظام اللغوي.

والأصل في الجملة الاسميّة أن يُذكر المبتدأ والخبر، ولكن قد يُحذف أحدهما أو كلاهما، إن وُجد دليلٌ، ولم يتمَّ الإخلال بالمعنى المراد، وقد يتقدّم أحدهما على الآخر.

1- تقديم الخبر على المبتدأ

الخبر هو الرّكن الثّاني من أركان الجملة الاسميّة، وقلنا الثاني؛ لأنَّ رتبته التأخير عن المبتدأ؛ **((لأنَّه وصفٌ في المعنى))**[4]، فالأصل في الجملة الاسميّة أن تبتدئ بالمبتدأ، وعرّفه ابن مالك بقوله:[5]

والخبرُ الجزءُ المتمّمُ الفائدةَ كاللهُ برٌّ والأيادي شاهدةٌ

وذهب الكوفيّون إلى أنَّه لا يجوز تقديم خبر المبتدأ عليهن مفرداً كان أو جملة، فالمفرد نحو "قائم زيد وذاهبٌ عمر"، والجملة نحو "أبوه قائم زيد وأخوه ذاهب عمرو". وذهب البصريون إلى أنّه يجوز تقديم خبر المبتدأ عليه المفرد والجملة.

أمَّا الكوفيون فاحتجّوا بأن قالوا: إنَّما قلنا إنَّه لا يجوز تقديم المبتدأ عليه مفرداً كان أو جملة؛ لأنَّه يؤدّي إلى أن تقدّم ضميرَ الاسم على ظاهره، ألا ترى أنَّك إذا قلت: "قائم زيد" كان في قائم ضمير زيد؟ وكذلك إذا قلت "أبوه قائم زيد" كانت الهاء في أبوه ضمير زيد؛ فقد تقدم ضمير الاسم على ظاهره، ولا خلاف أن رتبة ضمير الاسم بعد ظاهره؛ فوجب أن لا يجوز تقديمه عليه[6].

وأمَّا البصريون فاحتجّوا بأن قالوا: إنَّما جوّزنا ذلك؛ لأنَّه قد جاء كثيراً في كلام العرب وأشعارهم؛ فأمَّا ما جاء في كلامهم فقولهم "في بيته يؤتى الحكم" وقولهم "في أكفانه لُفَّ لميت"... وأمَّا ما جاء من ذلك في أشعارهم، فنحو قول الشاعر: [7]

---

(4) – ابن عقيل، بهاء الدين عبد الله بن عقيل العقيلي الهمداني المصري: **شرح ابن عقيل على ألفية ابن مالك ومعه كتاب منحة الجليل بتحقيق شرح ابن عقيل**: تأليف: محمّد محيي الدين عبد الحميد، ط2، دار أحياء التراث العربي، د.ت، 277/1.

(5) – ابن مالك: **متن الألفية**، ص9.

(6) – يُنظر: الأنباري، أبو بركات عبد الرحمن بن محمد بن عبيد الأنصاري: **الإنصاف في مسائل الخلاف**، 46/1.

(7) – ينسب هذا البيت للفرزدق في **شرح الكافية** 87/1، و**شرح الألفية** 153، و**همع الهوامع** 102/1، و**شرح المفصّل** 99/1، و**شرح التصريح على التوضيح** 173/1، و**أوضح المسالك** 283/1، لكنّنا لم نقف عليه في ديوانه.

بنونـا بنـو أبنائنـا وبناتنـا بنـوهُنَّ أبنـاءُ الرّجـالِ الأباعـدِ

والعاملُ في الخبر هو المبتدأ، وذهب بعض النّحاة إلى عدّ العامل في المبتدأ والخبر كليهما عاملاً معنوياً، وإنّهما يترافعان[8]،ويتقدّم المبتدأ على الخبر، إلّا أنَّ هذا التَّرتيب قد يُعدل عنه، وتتغيّر الرّتبة النّحويّة من خلال تقديم الخبر على المبتدأ، وفي هذا الصدد يقول (ابن مالك):[9]

والأصلُ في الأخبارِ أنْ تؤخّرا وجوّزوا التّقديم إذْ لا ضَرَرا

فالأصل تقديم المبتدأ، وتأخير الخبر، ولكن يجوز تقديم الخبر لأغراض بلاغية واعتبارات جماليّة، وبحث في ذلك النّحويين، وتوصَّلوا إلى أنَّ الخبر يتقدَّم على المبتدأ وجوباً في مواضع منها:[10]

(8)- عباس، صادق: **موسوعة القواعد والإعراب**، ط1، دار أسامة للنشر والتوزيع، عمان الأردن، 2002م، ص211.

(9)- ابن مالك: **متن الألفية**، ص9.

(10) – يُنظر: الإشبيلي، أبو الحسن علي بن مؤمن بن محمد بن علي بن عصفور: **شرح جمل الزجاجي**، قدّم له ووضع هوامشه وفهارسه: فواز الشعار، إشراف: إميل يعقوب، ط1، دار الكتب العلمية، بيروت، 1998م، 353/1. وابن مالك، جمال الدين محمد بن عبد الله الطائي الحياني الأندلسي: **شرح التسهيل**، تحقيق: عبد الرحمن السيد ومحمد بدوي المختون، ط1، دار هجر للطباعة والنشر، 1990م، 288/1-289. والرّضي، محمد بن الحسن الإستراباذي: **شرح الرضي الكافية ابن الحاجب**، دراسة وتحقيق: حسن ابن محمد بن إبراهيم الحفظي، ط1، جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية، السعودية، 1996م، 206/1-263. والأنصاري، أبو محمد عبد الله جمال الدين بن يوسف بن هشام: **أوضح المسالك إلى ألفية ابن مالك**، ومعه عدّة السالك إلى تحقيق أوضح المسالك: محمد محيي الدين عبد الحميد، د.ط، دار الفكر، بيروت، د.ت، 213/1-215. و**شرح ابن عقيل** 240/1-243. والسيوطي، جلال الدين: **همع الهوامع في شرح جمع الجوامع**، تحقيق وشرح: عبد السلام محمد هارون وعبد العال سالم مكر ، ط1، مؤسسة الرسالة، بيروت، 1992م، 232/1-233.

أ- أن يكون المبتدأ نكرةً ليس لها مسوّغ إلا تقديم الخبر، والخبر شبه جملة.

إذا جاء المبتدأ نكرة، والخبر متعلّق بمحذوف شبه جملة، فإنَّ المتعلّق بشبه الجملة يكون تقديره ثابت أو كائن، وهو محذوف، ويكون خبراً، والتّقديم هنا واجب؛ لأنَّ النّكرة تطلب الوصف طلباً حثيثاً كي تختصّ به، وإذا تقدّمت النَّكرة يقع الوهم في كون شبه الجملة صفة لها أو خبراً عنها[11].

فالعلّة هي منعُ التباس الخبر بالصّفة وورد ذلك عند (ابن يعيش 643هـ) في قوله: **((في قولك "لك مالٌ" و "تحتك بساطٌ" إنّما التزم تقديم الخبر هناك خوفاً من التباس الخبر بالصّفة))**[12]؛ أي إنَّ المبتدأ النكرة يفتقرُ إلى التخصيصِ بالوصف أو الإضافة.

وتقديم الخبر في هذه الحالة جعل الابتداء بالنّكرة صحيحاً؛ إذ لا يوجد مُسوّغ للابتداء بالنّكرة هنا إلّا تقديم شبه الجملة "الخبر".

ويأتي التّقديم في ديوان (الفرزدق) بدلالات عديدة؛ منها: التّشويق إلى ذكر المسند أو التّلذّذ بذكر المتقدّم، أو التّخصيص، أو التّعجّب....إلخ.

- **التّعظيم:** ومن ذلك قوله:[13]

إذا مالــكٌ ألقَــى العِمامــةَ فاحــذروا بــوادرَ كَفّــي مَالــكٍ حــينَ يَغضَــبُ
فإنَّهمـــا إن يظلِمـــاكَ ففيهمـــا نكــالٌ لِعُريــانِ العــذابِ عَصَبصَــبُ

هذه الأبيات قالها "الفرزدق" لمالك بن المنذر بن الجارود العبديّ، وغايتها تعظيم صورة "مالك" حين غضبه، وهذه الصّورة التّعضيمية كشفها تقديم الخبر الذي جاء شبه جملة "فيهما" على المبتدأ "نكال – عصبصب".

([11]) – الأزهري، خالد بن عبد الله: **شرح التّصريح**، ص219.

([12])– ابن يعيش، موفق الدين: **شرح المفصل**، د.ط، الطبعة المنيرية، القاهرة، د.ت، 237/1.

(13)– ديوانه، ص31. (نكال: اسم لمن يجعل عبرة للغير. عصبصب: شديد)

ومنه قوله:[14]

لهُ نَسَبٌ بينَ العناجيجِ يلتقي إلى كلّ معروفٍ من الخيلِ ناسبهْ

في هذا البيت تقديم للخبر "له" على المبتدأ "نسب"، والعلّة النحوية في ذلك هي مجيء الخبر شبه جملة، والمبتدأ نكرة، ولعلّ هذا التقديم أفاد بيان عظمة الممدوح "عبيد الله ابن أبي بكرة الثقفي" الذي اشتهر بأخبار جوده التي تشبه الخيال.

التّشويق إلى ذكر المسند إليه: وذلك إذا أراد المتكلّم إبقاء السّامع في شوقٍ ولهفةٍ لمعرفة الأمر، ومنه قوله:[15]

منّا الفروعُ اللواتي لا يوازنها فخرٌ وحظّك في تلك العراقيبُ

قدّم الشّاعر الخبرَ الّذي هو شبه الجملة "منا" على المبتدأ "الفروع" لغاية دلاليّة وهي تشويق المتلقّي إلى معرفة معرض الفخر الذي يبتغيه الفرزدق.

ومنه قوله:[16]

ولي ببلاد الهند عندَ أميرها حوائجُ جمّاتٌ وعندي ثوابُها

جاء الشاعر بالخبر "لي– عندي" متقدّماً على المبتدأ "حوائج– ثوابها" على التّرتيب لغرض بلاغيّ، وهو معرفة الشيء الكامن في بلاد الهند وفيه، ففي بلاد الهند تكمن الحوائج، وعنده يكمن الثّواب.

- **التّخصيص**: وفيه يكون المبتدأ مسبوقاً بنفي، ويكون الخبر جملة فعلية، وفي هذا النّوع من التّقديم تحاول أن تصحّح فكرة المخاطب بذكر المبتدأ؛ لتؤكد أنَّه ليس الذي قام بالفعل، ومنه قولك:

1- "ما أنا كسرت الزجاج".

(14) – ديوانه، ص53. (العناجيج: الواحد عنجوج: الرائع من الخيل، وقيل: الجواد)

(15) – ديوانه، ص66.

(16) – ديوانه، ص79.

2- "ما كسرت الزجاج".

فأنت في هذا التّرتيب الأوّل تنفي عن نفسك فعل الكسر، ولكنَّك تعترف في الوقت نفسه أنّ فعل الكسر حاصل، أمّا في التّرتيب الثّاني "ما كسرت الزجاج"، فأنت تنفي عن نفسك فعل الكسر، ولكنَّك لا تثبته لغيرك "فعل الكسر ليس مثبَتاً".

والمقصود تخصيص الخبر بالمبتدأ ، فإنك إذا قدمت الخبر خصصتهُ به ، اما إذا بقي الخبر متأخّراً كقولنا (زيد قائم) فإنك لم تخصص شيئاً لزيد ، لكنه يريد ان يثبت أنَّ زيداً قائم لا قاعد ، فتقديمه لـ(زيد) توكيد وإثبات لا تخصيص ، أمّا إذا قدمنا (قائم) على (زيد) كقولك (قائم زيد) فقد أثبت له القيام دون غيره من الناس، فقدّم الخبر، ((**فقولك (قائم زيد) قد أثبتَ له القيام دون غيره من النَّاسِ، وقولك (زيد قائم) أنتَ بالخيار في إثبات القيام له ونفيه عنه**))[17] .

ومنه قول الفرزدق:[18]

وما لأبي مروانَ بعدَ محمّدٍ وبعد اميرِ المؤمنينَ ضريبُ

جاء الفرزدق بشبه الجملة "لأبي مروان" ، "كائن" مسبوقاً بنفي وهو "ما"، وشبة الجملة هاهنا متعلّقة بخبر مقدّم تقديره "كائن"، والمبتدأ "ضريبُ"، فهو ينفي أن يكون هنالك شبيه لأبي مروان بعد محمّد، وذلك يشي بتخصيص صفة قلّما نظيرها بعبد الملك بن بشر بن مروان.

وقد يفيد التّقديمُ التّخصيصَ من دون نفي، ومنه قوله:[19]

مِنَّا الرسولُ وكلُّ أزهرَ بعدهُ كالبدرِ وهو خليفةٌ في الموكبِ

الفرزدق في بيته فَخُر بنسبه على بني باهلة، فنسبهُ يندرج غلى رسول الله (ص)، وجاء بشبه الجملة "منّا" في موقع خبر متقدّم على المبتدأ "الرّسول"، ولعلّه أراد من خلال

(17) – **المثل السائر**: 38/2 ، وينظر: **الطراز**: 31/2 .

(18) – ديوانه، ص40. (الضريب: الشبيه).

(19) – ديوانه، ص35.

هذا التّقديم أن يُخصّص نسبه ويقصره برسول الله (ص).

ومنه قوله:[20]

وفيهـا بنـو الحـربِ التـي يُتَّقـى بهـا وغاها إذا ما الحربُ جاشَتْ شعابُها

وهذا البيت أراد منه الشّاعر أن يخصّص مدحهُ ببني تميم، وأن يسبغ عليهم من صفات الشجاعة ما امتازوا بها، وتخصّصوا فيها؛ لذا جاء بشبه الجملة "فيها" العائدة على "بني تميم"، والتي هي متعلّقة بخبر مقدّم محذوف تقديره "كائن"، متقدّمة على المبتدأ المعرفة "بنو الحرب"، ولعلّ سياق البيت يوحي بأن يكون المراد من تقديم الخبر هو التّخصيص.

<u>شدّة العناية</u>، ومنه قوله:[21]

لكم أنّها في الجاهلية دوّخت لكـم مـن ذراهـا كـلَّ قـرمٍ صـعابُها

وهذا البيت من قصيدة يمدح فيها "أبان بن الوليد بن مالك الزيدي"، وجاء بشبه الجملة "لكم" المتعلّقة بخبر محذوف متقدّماً على المبتدأ الذي جاء مصدراً مؤوّلاً من "أنَّ واسمها وخبرها"، وهذا التّقديم أفاد التّخصيص.

ومنه قوله:[22]

وفي الشّيبِ لذّاتٌ وقرّةُ أعينٍ ومـن قبلـهِ عـيشٌ تعلّـل جادبـه

أتَت شبه جملة "في الشيب" متعلّقة بخبر مقدّم محذوف تقديره "كائن"، والمبتدأ "لذات"، وهذا البيت خصّص فيه صفة الحكمة التي تؤكّد قرّة الأعين.

ومنه قوله:[23]

أفـي أورةٍ عالجتهـا وحفرتهـا تمـيمٌ حواليهـا، وعنـدي كتابهـا

---

(20) – ديوانه، ص53.

(21) – ديوانه، ص55. (القرم: السيد العظيم).

(22) – ديوانه، ص45. (تعلّل: أبدى عللاً وحججاً وتمسّك بها، جادبه: عايبه).

(23)– ديوانه، ص35.

ومنه قوله:[24]

لتـرتحلن إليـك بـبطنِ جمـعٍ قوافٍ تحتَها النّوقُ العجالُ

تقدّم ظرف المكان "عندي- تحتها" الذي ورد خبراً، متقدّماً على المبتدأ المعرفة "كتابها- النّوق"، ونلحظ في قول (سيبويه) في "**باب ما يقع الاسم المبتدأ ويسدّ مسده**"[25]، ما يوحي بأنَّ تقديم الخبر إذا كان ظرفاً أحسن، وقد تابع النّحاة البصريون[26] (سيبويه) فيما ذهب إليه، أمّا الكوفيون فقد منعوا تقديم الخبر مفرداً كان أو جملة، أمّا الظرف المتقدّم – هنا- فهو فاعل لفعل مقدر عنهم، وتقديم الخبر هنا جائز عند النحاة[27]، وهذا ما أشار إليه (سيبويه) وما صرّح به النّحاة البصريون[28] في جواز تقديم الخبر الذي يكون ظرفاً.

وقد ورد الخبر في غير موضع من مواضع الدّيوان ظرف مكان متقدّماً على المبتدأ النكرة، ومنها قوله:[29]

ومن خلفها ثنتان كلتاهما لها تعلّقَ بالأهدامِ والشرّ حالُها

ومنها قوله:[30]

فحـرّكَ أعلـى حبلـه بحُشاشـةٍ ومـن فوقـه خضـراءُ طـامٍ بحورُهـا

(24)- ديوانه، ص22.

(25) - **الكتاب**، 128/2.

(26) - يُنظر: **الإنصاف في مسائل الخلاف بين النحويين البصريين والكوفيين**، 7-65.

(27) - يُنظر: **شرح المفصّل**، 94/1.

(28) - يُنظر: شرح قطر الندى، ص127.

(29)- ديوانه، ص547

(30)- ديوانه، ص713

تقدّم ظرف المكان " خلفها– فوقها" الذي جاء خبراً– على المبتدأ النكرة "ثنتان– خضراء" وتقديم الخبر هنا جائز[31].

ب– **أن يكون المبتدأ مشتملاً على ضميرٍ يعود على جزءٍ من الخبر.**

ويُعلّل ذلك بالاحتراز من عودة الضّمير على متأخرٍ لفظاً ورتبةً، وهذا الأمر ممتنعٌ في العربيّة، ففي قوله تعالى: ﴿أَفَلا يَتَدَبَّرُونَ الْقُرْآنَ أَمْ عَلَى قُلُوبٍ أَقْفَالُهَا﴾[32]، ههنا وجب تقديم الخبر (شبه الجملة) "على قلوب"، وتأخير المبتدأ "أقفالها" خلافاً للأصل العامّ، وسلامةً للمعنى المراد؛ لأنَّ في ذلك تلافياً لحدوث اللبس في عودة الضّمير "ها" إلى سابقٍ أو لاحقٍ، ومنه قول (الفرزدق):[33]

إنَّ السَّماءَ لنا عليْكَ نجومُهَا والشمسُ مُشرقةُ وكلُّ هلالِ

جاء هذا البيت في سياق مدح بني تميم، جاء المبتدأ "نجومُها" مشتملاً على ضمير يعود على "السّماء"، وممّا يعلّل ذلك هو الاحتراز من عودة الضّمير على متأخّر لفظاً ورتبة.

ت– أن يكون الخبر له الصّدارة في الجملة.

يوجد في اللّغة العربيّة مجموعة من الأساليب اللّغويّة، مثل التّعجّب والشّرط والاستفهام، ولكلّ منها أدواته الخاصّة التي قد تكون أحد ركني الجملة، وإذا كان الخبر اسم استفهام أو مضافاً إلى اسم استفهام، فإنَّه يتقدّم وجوباً[34]؛ لأنَّ الاستفهام له صدر الكلام[35]، ولا يجوز إخراج ما له الصّدارة عن صدريّته[36].

(31) – يُنظر: شرح قطر الندى، ص127.

(32)– سورة محمّد، الآية24.

(33) – ديوانه، ص496.

(34) – يُنظر: الجوزيّة، ابن القيّم: **إرشاد المسالك**، ص180–181.

(35) – يُنظر: **ابن عقيل**، 243/1، وابن يعيش: **شرح المفصّل**، 266/1.

(36) – يُنظر: الألوسي: **حاشية شرح القطر**، ص246.

نحو قولك: أينَ زيد؟ وكيف عمرو؟ أو أن يكون مُضافاً إلى ما حقّه الصّدارة، نحو: صبحُ أيِّ يومٍ السفرُ ؟[37]

ويتبادر إلى ذهن الدّارس أنَّ حقّ الصّدارة شأنٌ لفظيٌّ، وهذا الأمر يحتاج مراجعةٍ ونظرٍ، فمنع تأخير ما حقّه الصّدارة له ارتباطٌ وثيقٌ بالمعنى، ولم يأتِ لغايةٍ لفظيّةٍ، وهذا ما نلحظه في قول (ابن الحاجب): **((كل ما يغيّر معنى الكلام ويؤثّر في مضمونه، وكان حرفاً فمرتبته الصّدر، كحروف النَّفي... وكحروف التَّنبيه ، والاستفهام..))**[38]، فالصّدارة مبدؤها المعنى والدّلالة، وليست لفظيّةً بحتةً، ومن ذلك قوله:[39]

أباهِلَ أينَ منْجاكُم إذا مَا ملأْنَا بالمُلُوكِ وبالقِبَابِ

جاء الخبر اسم استفهام "أين" وهو ظرف متعلّق بخبر متقدّم على المبتدأ "منجاكم"، وهذا التقديم والتأخير رتبته غير محفوظة، لكن جاء التقديم؛ لأنَّ الخبر اسم استفهام وهو مستحق للصدارة.

ومنه قوله:[40]

كيفَ السلامةُ بعدما تيّمتني وتركتِ قلبي مِثلَ قَلْبِ الايهمِ

"كيف" اسم استفهام مبني على الفتح في محلّ رفع خبر مقدّم، وجاء في موضع الخبر؛ لأنّه اسم مستحقّ للصدارة، وجاء المبتدأ "السّلامة" متأخر عن الخبر.

ومنه قوله:[41]

يا بنَ المراغةِ أينَ خالُكَ؟ إنّني خالي حبيشٌ ذو الفعالِ الأفضلُ

---

(37)- **همع الهوامع في شرح جمع الجوامع** 35/2

(38)- **شرح الرضي لكافية ابن الحاجب** 336/4.

(39) - **ديوانه**، ص33. (أباهل: يقصد الأصم الباهلي، ويريد: لقد ضاقت عليكم الأرض، وملأنا بالملوك وذوي القباب، فأين ملجأكم منا؟).

(40)-ديوانه، ص550.

(41)-ديوانه، ص492. (جيش: هو جيش بن دلف بن عسير بن ذكوان).

تصدّر اسم الاستفهام "أينَ" الجملة الاسميّة المكوّنة من الخبر المقدّم "أينَ" المستحقّ للصدار، والمبتدأ "خالكَ"، وما يسوّغ مجيء الخبر متقدّماً هو كون المبتدأ معرفاً بالإضافة "خالُك"

ومنه قوله:[42]

على أنَّها في الدّار قالتْ لقومها إذا ما معدٌ قيل: أينَ عميدُها؟

تقدّم الخبر – في الجملة الاسمية المقيّدة– وقد وردَ اسم استفهام "أينَ" واقعاً موقع الخبر، أمّا المبتدأ فقد جاء معرفة "عميدها"، وهذا الخبر جاء متقدماً؛ لمجيئه اسماً مستحقاً للصدارة، وفي إعرابه "أينَ" اسم استفهام مبني على الفتح في محلّ نصب على الظّرفيّة متعلّق بخبر مقدّم محذوف تقديره "كائن".

ومنه قوله: [43]

أينَ الذينَ بهم تُسامي دارماً أم مَنْ إلى سَلَفَيْ طُهَيَّةَ تعجلُ

إنّنا أمام جملة واحدة مكوّنة من "أينَ" وهو اسم استفهام مبني على الفتح في محلّ رفع خبر مقدّم، و"الذين" اسم موصول مبني على الفتح في محلّ رفع مبتدأ مؤخّر، واسم الاستفهام جاء هنا مستحقّاً للصدارة في موضع الخبر؛ لمجيء المبتدأ اسماً معرفةً.

ومنه قوله:[44]

وأينَ مُنَاخي بعدَكُم إنْ نَبَوْتُمُ عَلَيَّ، وهل تَنْبُو صُدُوْرُ الصّوارمِ

تقدّم الخبر وهو اسم الاستفهام "أينَ" المتعلّق بخبر مقدّم محذوف، على المبتدأ المعرفة "مناخي"، وجاء اسم الاستفهام متقدّماً على المبتدأ؛ لأنّ المبتدأ أتى معرفة لذلك وجب تقديمه.

---

(42)– ديوانه، ص151.

(43)– ديوانه، ص490.

(44)– ديوانه، ص556.

ث- أن يكون الخبر محصوراً في المبتدأ:

وذلك إذا كان الخبر مسندٌ إلى ما هو مقرونٌ بأداة حصرٍ؛ لئلّا يُلتبس المعنى، ففي قولنا: "ما في الدّار إلا زيد" فإنَّ الخبر "في الدّار" مسندٌ إلى المبتدأ "زيد"، وهذا المبتدأ مقترنٌ بالأداة "إلا"؛ أي أنَّ الخبر محصورٌ في المبتدأ، وهذا يشير إلى أنَّ زيداً وحدَه في الدّار، يقول (الجرجانيّ): **((واعلم أنَّه إذا كان الكلام بـ"ما" و"إلّا" كان الذي ذكرتُه من أنَّ الاختصاص يكون في الخبر إن لم تقدِّمْهُ ، وفي المبتدأ إن قدَّمتَ الخبر= أوضحَ وأبينَ، تقول: ما زيدٌ إلا قائم. فيكون المعنى أنّك اختصصْتَ "القيام" من بين الأوصاف التي يتوهّم كون زيد عليها بجعله صفةً له. وتقول: "ما قائم إلا زيد" فيكون المعنى أنّك اختصصت زيداً بكونه موصوفاً بالقيام. فقد قصرْتَ في الأوّل الصّفةَ على الموصوفِ، وفي الثّاني الموصوف على الصّفة))**[45].

نلحظ من القول السّابق أنّ "الحصر" يكون في المؤخّر، وعليه يُمْنع تقدّمه ما دام مقصوداً بالاختصاص والحصر، قال (ابن مالك):[46]

وخبـــرُ المحصـــورِ قـــدّم أبـــدا كـــ"ما لنـــا إلا اتّبـــاع أحمـــدا"

وهذا الموضع لم نقف على شاهد له في ديوان الفرزدق.

(45)- الجرجاني، عبد القاهر: **دلائل الإعجاز**، ص346.

(46)- **شرح ابن عقيل**، 243/1.

النّتائج والتّوصيات:

- نظام التركيب في الجملة يفرض قواعد الترتيب على عناصر البناء بحيث يمنع تقديم بعضها على الأخر.
- للسياق دور في بيان الرتبة سواء اكانت محفوظة أم غير محفوظة.
- الاختصاص وبيان الأهميّة لدى المتكلّم هي أبرز العلل التي فسّرت ظاهرة التقديم والتأخير لدى الفرزدق.

المصادر والمراجع:

1- الأزهري :خالد بن عبد الله ، شرح التصريح على مضمون التوضيح ، تحقيق: محمدباسل سود العيون ط1 ، دار الكتب ، بيروت ، 2000م

2- الآلوسي : محمود شكري الآلوسي ، حاشية شرح القطر في علم النحو ، تحقيق : فؤاد ناصر ، مكتبة نور الصباح ، 2011م

3- الأنباري : أبو بركات عبد الرحمن بن محمد بن عبد الأنصاري ، الإنصاف في مسائل الخلاف تحقيق: محمد محيي الدين عبد الحميد ، دار الفكر ، القاهرة ،ط1، 2003م

4- الإشبيلي : أبو حسن علي بن مؤمن بن محمد بن علي عصفور ، شرح جمل الزجامي قدم ووضع هوامش وفهارسه : فواز الشعار ، إشراف : إميل يعقوب ط1 ، دار الكتب العلمية ، بيروت ، 1998م

5- ابن جني : أبو الفتح عثمان ، الخصائص ، تحقيق: محمد علي النجار ، ط1 ، المكتبة العلمية ، بيروت ، 1952م

6- الجرجاني : عبد القادر، دلائل الإعجاز ، قرأه وعلق عليه محمود محمد شاكر ، ط1 ، مطبعة الخانجي – مصر – 1984م

7- ابن هشام : أبو محمد جمال الدين بن هشام الأنصاري ، أوضح المسالك إلى ألفية ابن مالك ، تحقيق : محمد محيي الدين عبدالحميد ، د.ط، دار الفكر ، بيروت د. ت

8- ابن هشام : جمال الدين بن هشام ، شرح قطر الندى وبل الصدى ، تحقيق محمد محيي الدين عبد الحميد ، المكتبة الشاملة ، القاهرة ، ط11 ، د.ت

9- يحيى بن حمزة بن علي ، الطراز لأسرار البلاغة وعلوم حقائق الإعجاز ، المكتبة العصرية ، بيروت ، ط1، 2002م

10-ابن يعيش: موفق الدين : شرح المفضل ، قدم له : د. إميل يعقوب ، دار الكتب العلمية بيروت ، ط1، 2001م

11-ابن مالك: جمال الدين محمد بن عبد الله الأندلسي ، شرح التسهيل تحقيق: عبد الرحمن السيد و محمدبدوي المختون ، ط1، دار هجر للطباعة والنشر ، 1990م

12-ابن منطور: جمال بن مكرم ، لسان العرب ، تحقيق: عبد اللطيف الخطيب، دار العروبة الكويت ، ط1 ، 2006م

13-سيبويه : أبو عثمان عمر بن عثمان بن قنبر، الكتاب ، تحقيق: عبد السلم محمد هارون ط3 ، مكتبة الخانجي ، القاهرة ، 1988م

14-السيوطي: جلال الدين ، جمع الهوامش في شرح جمع الجوامع ، تحقيق: عبد السلام محمد هارون وعبد العال سالم مكر ، ط1 ، مؤسسة الرسالة ، بيروت ، 1992م

15-عباس صادق : موسوعة القواعد والإعراب ، ط1 ، دار أسامة للنشر والتوزيع عمان الأردن ، 2002م

16-ابن عقيل: بهاء الدين عبد الله بن عقيل الهمداني المصري ، شرح ابن عقيل عل ألفية ابن مالك، تأليف : محمد محيي الدين عبد الحميد ، دار إحياء التراث العربي ، د.ت

17-ابن القيم: أبو عبد الله شمس الدين محمد بن أبي بكر ، الجوزية ، تأليف جمال ابن محمد السيد ، الناشر عمادة البحث العلمي بالجامعة الاسلامية ، المدينة المنورة، ط1 2004م

18-الرضى: محمد بن الحسن الإستباذي ، شرح الرضي لكافية ابن الحاجب ، تحقيق : حسن ابن محمد بن ابراهيم الحفطي، ط1، السعودية ، 1996م